

أوقى الجن

في التذكير بمهمات الثوابت زمن الفتن

إعداد: عبد ربه الفرنسي - غفر الله له -

الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين أما بعد:
فلقد اطلعت على هذه اللطيفة لشيخنا في الله
عبد ربه الفرنسي جزاه الله خيراً وقرأتها
قراءة متأنية عدة مرات فوجدتها
قد وقفت فيها جميعاً وترتيباً فجزاه الله خيراً
وبارك فيه ونفع بما جمعه إخوانه
المسلمين وحمد رب العالمين
كتبه / محمد بن هادي طخيلي هـ
مساء يوم الأحد ٢٧ محرم ١٤٤٠ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه
أجمعين. أما بعد:

فأحببت أن أذكر نفسي وإخواني ببعض الثوابت السلفية، التي قد تغيب عن
أذهان بعضنا، خاصة في زمن الفتن. فأقول -مستعيناً بالله-:

- (١) الحق أحق أن يتبع.
- (٢) لا يعرف الحق بالرجال.
- (٣) كل يؤخذ من قوله ويرد إلا النبي ﷺ.
- (٤) إنما العبرة بالدليل.
- (٥) إياك وتقديس الأشخاص.
- (٦) العلماء لا يرضون أن يُتعصب لهم.
- (٧) قد تخفى بعض الأمور على الأكابر.
- (٨) من علم حجة على من لا يعلم.
- (٩) الجرح المفسر مقدم على التعديل المبهم.
- (١٠) يكفي لثبوت الجرح قول عالم معتبر، ولو كان واحداً.
- (١١) اختلاف أهل العلم في الجرح والتعديل حاصل منذ القدم، ولم يجلب ذلك الخصومة
بينهم، ولا بين أتباعهم.

وذكرت فيما يلي بعض أقوال أهل العلم في هذه الثوابت. وقد أكثر من
النقلات عن فضيلة الشيخ العلامة ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله- لمكانته
العلمية أولاً، ثم لأن بعض من يحب هذا العالم الجليل قد يخالف هذه الثوابت أو بعضها
-بقصد أو بغير قصد-، فلعل كلام الشيخ نفسه يكون أبلغ في النفوس، وأدعى للقبول.

وإليك -أيها القارئ- شيئاً من كلام أهل العلم فيما يتعلق بهذه الثوابت:

(١) الحق أحق أن يتبع:

قال فضيلة الشيخ العلامة ربيع المدخلي - حفظه الله -: "طالب الحق لا يصرفه الإعجاب والإكبار للشخصيات الكبيرة عن إتباع الحق والإنصاف والعدل، فإن الحق أحق أن يتبع، والحجة لا يجوز إسقاطها من أجل هذا الرجل العظيم أو ذاك، فمبدأ المسلم المنصف الطالب للحق دائماً: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]"^(١).

(٢) لا يعرف الحق بالرجال:

قال فضيلة الشيخ العلامة ربيع المدخلي - حفظه الله -: "لا يعرف الحق بالرجال، يعني: تجعل من الرجل هو قناتك الوحيدة، وتجعله ميزاناً ومقياساً للحق؛ فما يقوله هو الحق، وما لا يقوله هو باطل، وما يرفضه هو الباطل، وقد يكون حقاً! وما يقبله هو الحق، وقد يكون على خلاف الأمر باطلاً! إذاً نحن لا نعرف الحق بالرجال، وإنما نعرف الرجال بالحق"^(٢).

تنبيه: لا تعني هذه القاعدة ترك الرجوع إلى العلماء الذي أمرنا الله به حيث قال: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، بل هو كما قال الشاطبي رحمه الله في (الاعتصام): "إذا ثبت أن الحق هو المعتبر دون الرجال، فالحق أيضاً لا يعرف دون وساطتهم، بل بهم يتوصل إليه، وهم الأدلة على طريقه"^(٣).

(١) "منهج الإمام مسلم في ترتيب كتابه الصحيح ودحض شبهات حوله"، ص ٨٩:

<http://www.rabee.net/ar/books.php?cat=٣&id=٥٥>

(٢) "أصول ومميزات أهل السنة والجماعة مستخرجة من كتب العلامة ربيع بن هادي المدخلي"، ص

١٩٦، دار الميراث النبوي، ط ١.

(٣) ٣/٣٣٨، دار ابن الجوزي، ط ١.

(٣) كل يؤخذ من قوله ويرد إلا النبي ﷺ:

قال فضيلة الشيخ العلامة ربيع المدخلي - حفظه الله -: "كل يؤخذ من قوله ويرد"، وليس كل يؤخذ قوله أو كل يرد قوله! لا! الشافعي، وأحمد، ومالك يؤخذ من أقوالهم ويرد، وكذلك الثوري، والأوزاعي، يؤخذ من أقوالهم ويرد؛ لأنهم ليسوا بمعصومين، يقول ابن تيمية: العصمة للأنبياء أما الصديقون والشهداء والصالحون والأئمة كلهم لا بد أن يخطئوا" (٤).

وقال الشيخ - رعاه الله - أيضاً: "أما شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فهو من أعظم أئمتنا، وله جهاد عظيم في نصرته الإسلام والسنة قل من يلحقه فيه، وله نقد شديد على الصوفية في عدد من كتبه كالفرقان، والفرقان بين الحق والباطل، والرد على أهل وحدة الوجود، كما له مؤلفات عظيمة في الرد على الأشاعرة والفلاسفة واليهود والنصارى والروافض. ولتلاميذه الكبار كابن القيم وابن عبد الهادي ردود على طوائف أهل البدع ولا سيما الصوفية.

ومع هذه المنازل العظيمة لهم، ومع جهادهم العظيم، فإننا نتعامل مع أقوالهم بتلك القاعدة الذهبية التي قررها السلف وعلى رأسهم الإمام مالك: "كل يؤخذ من قوله ويرد إلا رسول الله ﷺ". ونتعامل بما يقوله شيخ الإسلام: "الرجال يحتج لهم ولا يحتج بهم"، وبما يقوله: "إذ الأمة متفقة على أنه إذا اختلف مالك والأوزاعي والثوري وأبو حنيفة لم يجز أن يقال قول هذا هو صواب دون هذا إلا بحجة" (مجموع الفتاوى ٢٠ / ٥٨٥). ولا نتعامل معهم كما يتعامل متعصبة أهل الأهواء فنسلم بكل ما يقولون ولا بقاعدة الصوفية: "كن مع شيخك كالملت بين يدي الغاسل"، وقاعدة: "لا تعترض فتتطرد"، بل نأخذ منهم ما وضح برهانه وقامت حجته، وما ليس كذلك أو فيه مخالفة

(٤) "النقد منهج شرعي - تعليق على كتاب ابن رجب الفرق بين النصيحة والتعيير"، ص ٩:

<http://www.rabee.net/ar/books.php?cat=٥&id=٨٢>

أو ضعف فلا نلتزمه بل نرده مع احترامنا لهم وإكبارنا لهم، واعتقاد أنهم أئمة مجتهدون كغيرهم من أهل الاجتهاد للمصيب أجران وللمخطئ أجر" (٥).

وقال الشيخ -بارك الله في علمه ونفع به- أيضاً: "يجب ترك التعصب لأي شخص كائن من كان إلا محمداً ﷺ، فهو الذي لا ينتقد ولا تقبل مخالفته من أحد، فإنَّ محمداً ﷺ يدور معه الحق أين ما دار، وأصحاب محمد ﷺ كذلك يدور معهم الحق أين ما داروا، ومن عداهم، فكل يؤخذ من قوله ويرد" (٦).

وذكر ابن الجوزي رحمه الله أن رجلاً قال للإمام أحمد رحمه الله: "إن ابن المبارك يقول كذا وكذا. فقال: إن ابن المبارك لم ينزل من السماء!" (٧).

(٤) إنما العبرة بالدليل:

قال فضيلة الشيخ العلامة ربيع المدخلي -حفظه الله-: "عليكم أن تنظروا في الأدلة، وتأخذوا بما كما فعل العلماء وطلاب الحق الصادقين، ولا يجوز لكم أن تخالفوا العلماء الذين حكموا على فلان أو فلان بالأدلة الواضحة والبراهين القاطعة" (٨).

(٥) "إبطال دعوى عبد العزيز القارئ أنَّ (التصوف) هو (عين التوحيد) وأنَّ الصوفية من أهل السنَّة والجماعة (الحلقة الثانية)"، ص ١١-١٢:

<http://www.rabee.net/ar/articles.php?cat=٨&id=١٣٤>

(٦) التعليق على كتاب "حادي الأرواح"، الشريط الثاني، من الدقيقة ٢٠:

<http://www.rabee.net/ar/sounds.php?cat=٤&id=١٤٦>

(٧) "تلبس إبليس"، ص ١٢٦، دار الفكر، ط ١.

(٨) "النهج الثابت الرشيد في إبطال دَعَاوى فالح فيما سماه بـ"إشراع الأسنة" و "التحقيق السديد - الحلقة الأولى"، الحاشية ١٩:

<http://www.rabee.net/ar/articles.php?cat=٨&id=١٦٨>

وقال الشيخ -رعاه الله- أيضاً: "إذا أفتى العالم بفتوى وقرنها بالدليل فيجب اتباعه، ولو خالفه الناس جميعاً، ما دامت الحجة معه، وليس مع الآخرين حجة، وتأتي فتاواهم ومواقفهم ضد الحجة والبرهان، فمن معه الدليل، ومن معه الحق، فيجب اتباع الحق الذي معه أو هذا العالم الموجه."

ومن البلاء الآن في هذه الفتن -حتى عند بعض السلفيين- يتمسكون بقال فلان وقال فلان، ولو كان من يخالفهم معه الدليل والبرهان، وهذا من سلوك طرق أهل الضلال، والمنهج السلفي لا يعترف بهذه الطرق مهما بلغ الإنسان من منزلة، أفتى فتوى أو قال قولاً ليس له دليل فلا يجوز قبول كلامه، نحترمه ونعتذر له وما شاكل ذلك، لكن كلُّ يؤخذ من قوله ويردّ إلا رسول الله ﷺ، ومن معه الحجة من الله ومن رسوله ﷺ لا يجوز ردّ قوله" (٩).

وقال ابن عبد البر رحمه الله: "القول لا يصح لفضل قائله، وإنما يصح بدلالة الدليل عليه" (١٠).

٥) إياك وتقديس الأشخاص:

قال فضيلة الشيخ العلامة ربيع المدخلي -حفظه الله-: "نحن ليس عندنا تقديس للأشخاص والغلو والإطراء فيهم، ولكن عندنا الأدب، وعندنا الاحترام، ومعرفة قدر علماء السنة خاصة" (١١).

(٩) "المجموع الرائق من الوصايا، والزهديات، والرقائق"، ص ٤١٩-٤٢٠، الميراث النبوي، ط ٢.

(١٠) "جامع بيان العلم وفضله"، ٩٩٤/٢، دار ابن الجوزي، ط ١.

(١١) "مجموع كتب ورسائل وفتاوى الشيخ العلامة ربيع بن هادي عمير المدخلي"، ٣٦/١، دار الإمام أحمد.

وقال الشيخ -رعاه الله- أيضًا: " ليس هناك من يدّعي الوصاية على الدعوة السلفية، ولا من يدّعي ذلك، وليس هناك من يُشبهه «بابا روما» أو «الفاتيكان». إنما هناك علماء ربانيون جندوا أنفسهم لخدمة الإسلام الحق ومنهج السلف الصالح، والذب عنه؛ «ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»" (١٢).

(٦) العلماء لا يرضون أن يتعصب لهم:

قال فضيلة الشيخ العلامة ربيع المدخلي -حفظه الله-: "الأئمة لا يرضون أن تسلم لهم الأمة زمامها، فلقد حاربوا التقليد وتسليم الأئمة لهم أشد المحاربة، وأقوالهم كثيرة ومدونة يستفيد منها العقلاء المنصفون، ويدير لها ظهورهم غلاة المتعصبين المقلدين" (١٣).

وقال -رعاه الله أيضًا-: "نصيحتي لكم أن تدرسوا، إذا تُكلم في شخص، أن تدرسوا عنه، وتأخذوا أقوال الناقدين وتفهمونها، وتتأكدون من ثبوتها، فإذا تبين لكم ذلك فليحكم الإنسان من منطلق الوعي والقناعة، لا تقليدًا لهذا أو ذاك، ولا تعصبًا لهذا أو ذاك، ودعوا الأشخاص فلان وفلان، هذه خذوها قاعدة، وانقلوها لهؤلاء المخالفين ليفهموا الحقيقة فقط، ويعرفوا الحق ويخرجوا أنفسهم من زمرة المتعصبين بالباطل، وأنا لا أرضى لأحد أن يتعصب لي أبدًا؛ إذا أخطأت فليقل لي من وقف لي على خطأ: أخطأت -بارك الله فيكم-، ولا يتعصب لأحد هذا أو ذاك، لا يتعصب

(١٢) "إعانة أبي الحسن على الرجوع بالتي هي أحسن"، ص ١٨، حاشية ٢:

<http://www.rabee.net/ar/books.php?cat=٣&id=٥٨>

(١٣) "كشف موقف الغزالي من السنة وأهلها ونقد بعض آرائه"، ص ١٣٠:

<http://www.rabee.net/ar/books.php?cat=٣&id=٤٢>

لخطأ ابن تيمية، ولا ابن عبد الوهاب، ولا لأحمد بن حنبل، ولا للشافعي، ولا لأحد. إنما حماسه للحق، واحترامه للحق، ويجب أن يكره الخطأ ويكره الباطل" (١٤).

(٧) قد تخفى بعض الأمور على الأكابر:

قال فضيلة الشيخ العلامة ربيع المدخلي - حفظه الله -: "قد يزكي الرجل - وهو فاضل - بناء على الظاهر، ولا يعرف حقيقة ما عليه القوم، فيأتي إنسان يدرس كتبهم ويدرس واقعهم فيجد أنّ هذا الذي زكّاهم قد وقع في خطأ من حيث لا يدري، فزكّاهم بناء على هذا الظاهر.

هذا شيء حصل للأئمة الكبار، فكم من إنسان عدّله الإمام أحمد فقال تلاميذه الذين لا يصلون إلى مرتبته، عرفوا ما عند هؤلاء وما فيهم من قدح وما فيهم من جرح فأسقطوهم؛ وإن كان قد زكّاهم أحمد رحمته.

وزكّي الشافعي رحمته أناسًا وجرحهم آخرون؛ وقدّم جرح هؤلاء المفسر القائم على معرفة الحقيقة على أقوال الأئمة الذين زكوا بناء على ما ظهر لهم" (١٥).

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمته: "الوقائع الخاصة قد تخفى على الأكابر، ويعلمها من دونهم، وفي ذلك رد على المقلد إذا استدّل عليه بخبر يخالفه فيجيب: لو كان صحيحًا لعلمه فلان مثلاً" (١٦).

(١٤) شريط "خطورة الكذب وأثاره السيئة وموقف الإسلام منه"، من الدقيقة ٥٦:

<http://www.rabee.net/ar/sounds.php?cat=٣&id=٩٠>

(١٥) "مجموع كتب ورسائل وفتاوى فضيلة الشيخ العلامة ربيع بن هادي عمير المدخلي"، ٢٥٠/١٤ - ٢٥١، دار الإمام أحمد.

(١٦) "فتح الباري" ١٦/١١٢، دار طيبة، ط ٤.

وليس ذلك طعنًا في هؤلاء الأكابر، وليس عليهم إثم، بل هم مأجورون لاجتهادهم -خلافًا لمن يقلدهم بعد معرفة الحق-، كما قال العلامة المعلّم رحمته الله: "اعلم أن الله -تعالى- قد يوقع بعض المخلصين في شيء من الخطأ ابتلاء لغيره؛ أيتبعون الحق ويدعون قوله أم يغترّون بفضله وجلالته؟ وهو معذور بل مأجور؛ لاجتهاده وقصده الخير وعدم تقصيره؛ ولكن من تبعه مغترًّا بعظمته بدون التفات إلى الحجج الحقيقية من كتاب الله -تعالى-، وسنة رسوله صلّى الله عليه وآله، فلا يكون معذورًا، بل هو على خطر عظيم" (١٧).

(٨) من علم حجة على لا يعلم:

قال فضيلة الشيخ العلامة ربيع المدخلي -حفظه الله- عند الحكم على راوٍ: "والأقوال فيه كثيرة، ما بين ممدوح وقادح، والقدح فيه أكثر، وهو الراجح؛ لأن المدح قائم على حسن الظن وعلى الظاهر، والجرح قائم على الدراسة والعلم، ومن علم حجة على من لم يعلم، ولو كثروا" (١٨).

(٩) الجرح المفسّر مقدّم على التعديل المبهم:

قال فضيلة الشيخ العلامة ربيع المدخلي -حفظه الله-: "الضعف العلمي يؤدي إلى مثل هذه التفاهات، قال فلان!، قال فلان!، عندنا منهج يُميّز به أهل الحق وأهل الباطل، فلو أنّ أحمد بن حنبل جاء الآن وزكّي فلانًا وفلانًا، ثم وجدنا أنّ هذا الإنسان لا يستحق هذه التزكية من أقواله وأعماله وكتابات وأشرطته، هل يجوز لنا أن نتعلق بما زكّاه به ذلك الإمام ابن باز أو الألباني أو أحمد ابن حنبل أو غيرهم؟

(١٧) "آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي"، ٢/٢٩٤، دار عالم الفوائد، ط ١.

(١٨) "وضوح البرهان يدمغ مخالفات عادل آل حمدان"، ص ٣٨، دار الميراث النبوي. بتصرف يسير جدًا.

الجرح مقدّم على التعديل، الجرح المفسّر مقدّم على التعديل المبهم، هذه القواعد لا بد من تطبيقها في ميدان الجرح والتعديل، فمثلاً زكى الألباني يوماً من الأيام فلاناً، ثم تبين له أنه لا يستحق التزكية فقال عنه: خارجي، وابن باز في يوم من الأيام زكّى فلاناً وفلاناً، وتبين له خطأهم فقال عنهم: دعاة باطل، يأتي أهل الباطل ويشيعون تزكيتهم ويدفنون الجرح!

لو فرضنا أنّ ابن باز والألباني استمروا على التزكية إلى أن ماتوا؛ ما عندهم إلا هذه التزكية، هل يلزم الناس أن يأخذوا بتزكيتهم ويغمضون عيونهم ويقفلوا عقولهم عن أخطاء فلان وفلان الذين زكّاهم الألباني أو ابن باز؛ الأخطاء واضحة، والجرح واضح. فهل يجوز لمسلم أن يتعلق بتزكية فلان وفلان، والجرح واضح في هذا المزكّي؟ الجرح واضح^(١٩).

(١٠) يكفي لثبوت الجرح قول عالم معتبر ولو كان واحداً:

سئل فضيلة الشيخ العلامة ربيع المدخلي - حفظه الله -: "هل يكفي نقل كلام الأئمة في الجرح المفسر؟"

[فأجاب]: كيف لا يكفي؟! إذا نقل الأئمة الجرح المفسر لا نقبل؟! ولو إمام واحد نقل الجرح المفسر يكفي، وتقدم لكم أنه لو جرح واحد بجرح معتبر وجاء من يعارضه ويزكي هذا المجروح أنه يسقط ويسقط كلامه^(٢٠).

(١٩) التعليق على كتاب "الجواب الكافي"، الشريط الثاني، من الدقيقة ٤٠:

<http://www.rabee.net/ar/sounds.php?cat=٧&id=١٠٥>

(٢٠) "أسئلة وأجوبة مهمة في علوم الحديث":

<http://www.rabee.net/ar/articles.php?cat=١١&id=٢٧١>

(١١) اختلاف أهل العلم في الجرح والتعديل حاصل منذ القدم، ولم يجلب ذلك الخصومة

بينهم، ولا بين أتباعهم:

قال فضيلة الشيخ العلامة ربيع المدخلي - حفظه الله - في معرض كلامه على الراوي محمد بن حميد الرازي: "فيه كلام عند المحدثين، يركيه الإمام أحمد، وينتقده غيره ويضعفه ويبالغ في تضعيفه، ومن يضعفه ابن خزيمة رحمته الله، فقليل له: إنَّ أحمد يُعَدِّله أو يركيه، فقال: لو عرفه أحمد كما عرفناه ما زكاه!

وهذا منهج يسير عليه أهل السنة والجماعة وأئمة الحديث، وهو أنَّ من علم حجة على من لم يعلم، وأنَّ الجرح مقدَّم على التعديل، وأنه لا غضاضة في هذا، ولا نقص من أي إمام يزكي رجلاً ثم يأتي من هو مثله أو دونه فيثبت بالحجة والبرهان الطعن في هذا الرجل الذي زكاه ذلكم الإمام، لا ضير في هذا، ولا حرج، ولا يقال تنقص، ولا يقال مخالف، ولا يقال شيء. لماذا؟ لأنهم يدورون مع الحجج والبراهين، لا يريدون إلا الحق، ولا يريدون إلا وجه الله - عز وجل -، فلا تأخذهم في الله لومة لائم، ولا يقول: والله زكاه أحمد فلماذا أنا أجرحه؟! والله هذا غلط، ما يقولون هذا الكلام، بل يصدعون بالحق، ويتلقاه أئمة السنة كلهم بصدور رحبة، لا يرون في ذلك حرجاً أبداً، لكن الآن نحن في عصر الظلمات، والجهل الكثيف، الذي شنه أهل البدع والأهواء على منهج أهل السنة والجماعة.

فالإمام أحمد إمام أهل السنة، ما قال أحد: أنَّ مخالفة ابن وارة وابن خزيمة وغيرهم ممن جرَّحوا محمد بن حميد؛ ما قالوا: إنهم ينتقصون الإمام أحمد أو يخالفونه! لا، كلهم سلَّموا. فتجد أصحاب أحمد وأصحاب الشافعي إذا كان الرجل مدحه أحمد، وجرَّحه غيره، والحجة معهم، يقبلون جرح صاحب الحجة، وكذلك أتباع الشافعي، إذا زكى مثل: إبراهيم بن أبي يحيى، وجرَّحه غيره، تلقوا هذا الجرح بالقبول، وما قالوا: والله إمامنا، نتعصب له، لأنه زكى فلاناً، ونحن بهذه العصبية العمياء نثبت أركان هذا الرجل المجروح،

وندفع بحجة إمامنا الحجة والبرهان؟! حاشاهم أن يقولوا هذا. وهكذا يكون، تربوا على هذا المنهج المبارك الطيب" (٢١).

هذا ما تيسر جمعه، وقد حرصت على الاختصار، وإلا فكلام أهل العلم في هذه الثوابت كثير.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

إعداد: عبد ربه الفرنسي - غفر الله له -

الأحد ١٤٤٠/١/٢٠

(٢١) التعليق على كتاب "حادي الأرواح"، الشريط الثاني، من الدقيقة ١٧:

<http://www.rabee.net/ar/articles.php?cat=٨&id=١٣٤>
www.rabee.net/ar/sounds.php?cat=٤&id=١٤٦